

بِشَارَةُ الشَّبَابِ

بِمَا جَاءَ فِي عَضِّ البَصْرِ مِنَ التَّوَابِ

بقلم :
أبي الحسَنَاتِ الدِمَشْقِيِّ

□□□□ □□□□

إِنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَتَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَبَعْدُ،

فإنَّ هذا الزمان الذي نعيشُ فيه، زمانٌ كَثُرَتْ فيه الشرورُ
والفتن، وَزَادَتْ فيه البَلَايا والمِحَن، أَمَا وَقَدْ كَانَ الحالُ كَذَلِكَ،

فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَعْتَصِمَ بِحَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَتَمَسَّكَ بِهِ، فَتَتَّبِعَ أَمْرَهُ وَنَجْتَنِبَ نَهْيَهُ .

وَأَنَّ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُعِينُ عَلَيَّ فَعَلُ مَا أَمَرْنَا اللَّهُ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ؛ مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْأُمُورِ وَثَوَابِهِ، وَمَعْرِفَةُ ضَرَرِ الْمَنْهِيِّ وَعِقَابِهِ، وَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى تَذَكُّرِ ذَلِكَ وَاسْتِحْضَارِهِ .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ، جَمَعْتُ هَذِهِ الرَّسَالََةَ، تَذَكُّرَةً لِإِخْوَانِي الشَّبَابِ، وَنَصِيحَةً لَهُمْ، فِي أَمْرِ هَامٍ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَهُوَ غَضُّ البَصْرِ، وَلَيْسَ قَصْدِي مِنْ هَذِهِ الرَّسَالََةِ بَيَانُ تَفَاصِيلِ أَحْكَامِ النَّظَرِ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهَا أَنْ أَذْكَرَ إِخْوَانِي الشَّبَابَ بِهَذِهِ الْقَرِيبَةِ، وَأَبَيِّنَ لَهُمْ قَوَائِدَهَا وَمَنْزِلَتَهَا فِي الشَّرْعِ، وَأَسْمِيَتَهَا :

« بِشَارَةُ الشَّبَابِ بِمَا جَاءَ فِي غَضِّ البَصْرِ مِنَ التَّوَابِ »

وَخَصَّصْتُ الشَّبَابَ بِهَذِهِ الرَّسَالََةِ، لِأَنَّ الشَّبَابَ هُمُ الْمَعْرَضُونَ لِلْفِتْنَةِ أَكْثَرَ مِمَّنْ سِوَاهُمْ، وَمَا أَحْسَنَ وَصَفَ الْإِمَامُ أَبِي الْقَرَجِ ابْنَ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَرَحَلَةِ الشَّبَابِ حِينَ قَالَ فِي «تَنْبِيهِ النَّائِمِ الْعُمَرِ عَلَى مَوَاسِمِ الْعُمَرِ»: «وَهَذَا هُوَ الْمَوْسِمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْجِهَادُ لِلنَّفْسِ وَالْهَوَىٰ وَغَلْبَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِصِيَانَتِهِ يَحْضُلُ الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالتَّفْرِيطِ فِيهِ يَقَعُ الْخُسْرَانُ الْعَظِيمُ، وَبِالصَّبْرِ فِيهِ عَلَى الزَّلَلِ يُثْبَتُ عَلَى الصَّابِرِينَ كَمَا أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذْ لَوْ زَلَّ مَنْ كَانَ يَكُونُ؟ ». ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ: «عَجَبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوهٌ». وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَكَانَ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَتَأَسَّفُونَ فِي حَالِ الْكِبَرِ عَلَى تَضْيِيعِ مَوْسِمِ الشَّبَابِ وَيَكُونُ عَلَى التَّفْرِيطِ فِيهِ، فَلْيُطِلِ الْقِيَامَ مِنْ سَيَقُودُ، وَلْيُكْثِرِ الصِّيَامَ مَنْ سَيَعْجَزُ. وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ: مَنْ ابْتَدَرَ عُمَرَهُ بِالْخَيْرِ وَدَامَ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ

مَنْ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ خَلَطَ وَقَصَّرَ فَذَلِكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ،
 وَمَنْ صَاحَبَ التَّفْرِيطَ وَالْمَعَاصِيَ فَذَلِكَ مِنَ الْهَالِكِينَ .
 فَلْيَنْظُرِ الشَّابُّ فِي أَيِّ مَقَامٍ هُوَ، فَلَيْسَ لِمَقَامِهِ مِثْلٌ،
 وَلْيَتَلَمَّحْ ثَمَنَ بَضَاعَتِهِ وَشَرْفَهَا الْمُسْتَوْفَى، فَالصَّبْرُ
 الصَّبْرُ، فَإِنَّ السَّاعِيَ يَصِيرُ عَلَى التَّكَاحِ مَعَ كَوْنِهِ شَابًّا
 شَدِيدَ السَّبْقِ فَيُقَالُ لَهُ: أَحْسَنْتَ!، فَلْيَصْبِرِ الشَّابُّ
 لِيُقَالُ لَهُ: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ □ [الأنبياء: 103].

وَلْيَحْذَرْ زَلَّةً فِي الشَّبَابِ، فَإِنَّهَا كَعَيْبٍ قَبِيحٍ فِي سَلْعَةٍ
 مُسْتَحْسَنَةٍ، وَمَنْ زَلَّ فِي الشَّبَابِ فَلْيَنْظُرْ أَيْنَ لَدَّتْهَا؟!
 وَهَلْ بَقِيَ إِلَّا خَسْرَتُهَا الدَّائِمَةُ الَّتِي كَلَّمَا خَطَرَتْ لَهُ
 تَأَلَّمَ، فَصَارَ ذَكَرُهَا عَقُوبَةً.
 وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: وَدَدْتُ أَنْ يَدِيَ
 قَطَعْتَا، وَغَفَرَ لِي مِنْ ذُنُوبِ الشَّبَابِ".
 هَذَا، وَأَنَا سَائِلُ أَخَا ابْتِغَاءِ بَشِيءٍ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنْ
 يُخَصَّنِي بِالذُّعَاءِ، وَأَنْ يَدْعُوَ لَوَالِدَيْهِ، وَمَشَايخِي، وَسَائِرِ أَحْبَابِي،
 وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ .
 وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِضِي وَإِسْتِنَادِي،
 وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ .

فصل

في بيان حُطُورَةِ فِتْنَةِ النِّسَاءِ:

**قَالَ تَعَالَى : [زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ] الآيَةُ [آل عمران: 14] . قَالَ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: " زَيْنَ أَي: زَيْنَ لَهُمْ
الشَّيْطَانُ " . أَخْرَجَهُ الإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُمَا
اللَّهُ تَعَالَى .**

**وَقَالَ تَعَالَى : [وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا] [النساء: 14] . قَالَ
طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: " أَي:
ضَعِيفًا فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، لَيْسَ يَكُونُ الإِنْسَانُ فِي شَيْءٍ
أَضْعَفَ مِنْهُ فِي النِّسَاءِ " . أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُمَا .**

**وَأَخْرَجَ الإِمَامَانِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ البُخَارِيُّ وَأَبُو الحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ
الحَجَّاجِ القُشَيْرِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا
تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " .**

**وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ
الدُّنْيَا خُلُوهٌ خَصِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ
فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ " .**

**وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَبُو يَكْرِابِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ كُفْرٌ مِنْ مَضَى إِلا مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ،
وَهُوَ كَائِنٌ كُفْرٌ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ " .**

**وَأَخْرَجَ عَنِ أَبِي صَالِحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: " بَلَّغْنِي أَنَّ أَكْثَرَ
ذُنُوبِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِي النِّسَاءِ " .**

**وَفِي « صِفَةِ الصَّفْوَةِ »: عَنِ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعٍ عَنِ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: " مَا يَيْسَرُ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلا أَنَّهُ
مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ " .**

وَقَالَ لَنَا سَعِيدٌ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى

عَيْنِيهِ وَهُوَ يَعِشُو بِالْآخِرَى: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَخَوْفُ عِنْدِي مِنَ النِّسَاءِ!".

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ «الدَّرْبَعَةُ إِلَى مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ» بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ قُوَى الْإِنْسَانِ الثَّلَاثَ: الْقُوَى الْفِكْرِيَّةَ، وَالْقُوَى الْعَصَبِيَّةَ، وَالْقُوَى الشَّهْوِيَّةَ: "أَصْعَبُ هَذِهِ الْقُوَى الثَّلَاثُ مُدَاوِمَةُ قَمْعِ الشَّهْوَةِ، لِأَنَّهَا أَقْدَمُ الْقُوَى وَجُوداً فِي الْإِنْسَانِ، وَأَشَدُّهَا بِهِ تَشَبُّثاً، وَأَكْثَرُهَا مِنْهُ تَمَكُّناً، فَإِنَّهَا تُوَلَّدُ مَعَهُ، وَتُوجَدُ فِيهِ وَفِي الْحَيَوَانَ الَّذِي هُوَ حِنْسُهُ، بَلْ فِي النَّبَاتِ الَّذِي هُوَ جَنْسٌ جَنْسِهِ، وَلَا يَصِيرُ الْإِنْسَانُ خَارِجاً مِنْ جُمْلَةِ الْبَهَائِمِ وَأَسْرِ الْهَوَى، إِلَّا بِإِمَاتَةِ الشَّهْوَةِ الْبَهِيمِيَّةِ لَوْ يَقْهَرُهَا وَقَمَعَهَا، إِنْ لَمْ يُمَكِّنْهُ إِمَاتَتُهُ إِيَّاهَا، فَهِيَ الَّتِي تَضُرُّهُ وَتَغْرُهُ وَتَصْرِفُهُ عَنِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ. وَمَتَى قَمَعَهَا أَوْ إِمَاتَهَا صَارَ الْإِنْسَانُ حُرّاً نَقِيّاً بَلْ يَصِيرُ إِلَهياً رَبَانِيّاً، فَتَقَلُّ حَاجَاتُهُ وَيَصِيرُ غَنِيّاً عَمَّا فِي يَدِ غَيْرِهِ، وَسَخِيّاً بِمَا فِي يَدِهِ، وَمُحْسِناً فِي مُعَامَلَاتِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَتِ الشَّهْوَةُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فِي الْإِضْرَارِ، فَأَيُّ حِكْمَةٍ اقْتَضَتْ أَنْ يُبْلَى بِهَا الْإِنْسَانُ؟

قِيلَ: الشَّهْوَةُ إِئِمَّا تَكُونُ مَذْمُومَةً إِذَا كَانَتْ مُفْرَطَةً، وَأَهْمَلَهَا صَاحِبُهَا حَتَّى مَلَكَتْ عَلَيْهِ الْهَوَى، فَإِذَا مَا أَدَبَتْ فَهِيَ الْمُبْلَغَةُ إِلَى السَّعَادَةِ وَجَوَارِبِ الْعِزَّةِ، حَتَّى لَوْ تَضَوَّرَتْ مُرْتَفِعَةً لَمَا أَمَكْنَ الْوَصُولُ إِلَى الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَصُولَ إِلَى الْآخِرَةِ بِالْعِبَادَةِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْعِبَادَةِ إِلَّا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِلَّا بِحِفْظِ الْبَدَنِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى حِفْظِ الْبَدَنِ إِلَّا بِإِعَادَةِ مَا يَتَحَلَّلُ مِنْهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى إِعَادَةِ مَا يَتَحَلَّلُ مِنْهُ إِلَّا بِتَنَاوُلِ الْأَغْذِيَّةِ، وَلَا يُمَكِّنُ تَنَاوُلَ الْأَغْذِيَّةِ إِلَّا بِالشَّهْوَةِ، فَإِذَنْ: الشَّهْوَةُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا، وَمَرْغُوبٌ فِيهَا، وَتَقْتَضِي الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ إِيجَادَهَا وَتَزْيِينَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُزِّقْنَا لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آيَةُ [آلِ عَمْرِنَ: 14]، لَكِنَّ مَثَلَهَا

مَثَلُ عَدُوٍّ تُخَشَى مَضَرَّتُهُ مِنْ وَجْهِهِ، وَتُرْجَى مَنْفَعَتُهُ مِنْ وَجْهِهِ، وَمَعَ عِدَاوَتِهِ لَا يُسْتَعْنَى عَنِ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، فَحَقُّ العَاقِلِ أَنْ يَأْخُذَ نَفْعَهُ، وَلَا يَسْكُنَ إِلَيْهِ، وَلَا يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ .

وَأَيْضًا، فَإِنَّ هَذِهِ الشَّهْوَةَ هِيَ المَشْوَقَةُ لِعَامَّةِ النَّاسِ إِلَى لذَاتِ الجَنَّةِ، مِنَ المَأكَلِ وَالمَشْرَبِ وَالمَنَكْحِ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُ اللذَاتِ المَعْقُولَةَ، وَلَوْ تَوَهَّمْنَاهَا مُرْتَفَعَةً لَمَا تَشَوَّقُوا إِلَى مَا وُعدُوا بِهِ ."

فَصْلٌ

في معنى عَضِّ البَصْرِ وَحُكْمِهِ :

أَمَّا معنى الغَضِّ: فَمَادَّةُ الغَضِّ تُفِيدُ مَعْنَى الخَفْضِ وَالتَّقْصِ، فَعَضُّ البَصْرِ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ تَرْكِ التَّحْدِيقِ وَإِسْتِيفَاءِ النَّظَرِ، فَتَارَةٌ يَكُونُ ذَلِكَ لِأَنَّ فِي الطَّرْفِ كَسْرًا وَفُتُورًا خَلْقِيَيْنِ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ:

وَمَا سَعَادُ عَدَاةِ البَيْنِ إِذْ
إِلَّا عَنِ غَضِيضِ
الرَّحْلِوَا الطَّرْفِ مَكْحُولِ

: كما أنه يكون تارةً من مَدَلَّةٍ كَمَا قَالَ جَرِيذٌ
فَعُضُّ الطَّرْفِ فَلَ كَعْبًا بَلَغَتْ
إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ وَلَا كِلَابًا

وَيَكُونُ تَارَةً لِقَصْدِ الكَفِّ عَنِ التَّأَمُّلِ حَيَاءً أَوْ خَجَلًا مِنَ الخَلْقِ كَمَا قَالَ عَنَتْرَةُ:

وَأَعُضُّ طَرْفِي حَتَّى يُوَارِي
حِينَ تَبْدُو جَارَتِي جَارَتِي مَاوَاهَا

وَهَذِهِ المَعَانِي كُلُّهَا غَيْرُ مَقْصُودَةٍ هُنَا، وَإِنَّمَا المَقْصُودُ: عَضُّ البَصْرِ خَوْفًا مِنَ اللّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ .
فَمِنَ المَعْلُومِ مِنَ الدِّينِ صَرُورَةٌ أَنَّ الشَّرْعَ أَمَرَ بِحِفْظِ الفُرُوجِ وَحَرَّمَ الزَّنا، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ أعْظَمِ مَقَاصِدِهِ، وَالأَمْرُ بِحِفْظِ الفُرُوجِ يَتَضَمَّنُ الأَمْرَ بِحِفْظِ الأَبْصَارِ لِأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّنا وَرَائِدُهُ، فَيَكُونُ عَضُّ البَصْرِ مِنْ بَابِ سَدِّ الذَّرِيعَةِ، وَلَكِنَّ اللّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِعَضِّ البَصْرِ تَصْرِيحًا زِيَادَةً فِي الأَهْتِمَامِ وَالتَّجَرُّبِ .
وَقد دَلَّ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ عَلَيَّ ذَلِكَ، أَمَّا الكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنْ اللّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** [الآية [النور: 30].

وإما السنة : فقد أَخْرَجَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : **"إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ !"** فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدِّ، تَحَدَّثَ فِيهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **"فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ"** . قالوا : وما حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : **"عَضُّ البَصْرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، وَالتَّهْيِئَةُ عَنِ المُنْكَرِ"**

وَأَمَّا الإِجْمَاعُ فَقَدْ حَكَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، قَالَ الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «مَرَاتِبِ الإِجْمَاعِ» : **"وَاتَّقُوا عَلَيَّ وَجُوبَ عَضِّ البَصْرِ عَنِ غَيْرِ الحَرِيمَةِ وَالزَّوْجَةِ وَالأُمَّةِ، إِلَّا مَنْ أَرَادَ نِكَاحَ امْرَأَةٍ حَلَّ لَهُ أَنْ يَنْظُرَهَا"** .

وقال الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ العَامِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «رِسَالَتِهِ فِي أَحْكَامِ النَّظَرِ» : **"إِنَّ الَّذِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَالخَلْفِ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالأُمَّةِ: هُوَ نَظَرُ الأَجَانِبِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَهُم مَن لَيْسَ بَيْنَهُمْ رَجْمٌ مِنَ النَّسَبِ، وَلَا مَحْرَمٌ مِنْ سَبَبٍ كَالرِّضَاعِ وَغَيْرِهِ، فَهؤلاءِ حَرَامٌ نَظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ"** .

فصل

في ذكر الآيات الواردة في الحَضِّ عَلَى عَضِّ البَصْرِ

قَالَ تَعَالَى : [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)] إِلَى قَوْلِهِ :
[وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ خَافِظُونَ (4)] إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (5)] فَمَنْ أَتْبَعَى
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (6)] [المؤمنون: 1-6] .
وقَالَ تَعَالَى : [قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ذَلِكَ
أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ] الآية [النور: 30]
قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : [قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ] : "أَي : عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ" . ذكره
البخاري بصيغة الجزم .

فهذان موضعان ضَمِنَ اللَّهُ فِيهِمَا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْضُونَ
 أَبْصَارَهُمْ بِالْفَلَّاحِ، أَمَّا الْمَوْضِعُ الْأَوَّلُ فَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ بِأَقْوَى أَنْوَاعِ
 التَّوَكِيدِ : حَيْثُ أَتَى بِحَرْفِ التَّحْقِيقِ (قَدْ)، وَأَتَى بِالْجُمْلَةِ فِي
 صِيغَةِ الْخَبَرِ، ثُمَّ ذَكَرَ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْهَا أَنَّهُمْ :
[لِغُرُوحِهِمْ خَافِظُونَ] وَلَا رَيْبَ أَنَّ حِفْظَ الْفَرْجِ لَا يَكُونُ إِلَّا
 بِعَضِّ البَصْرِ، فَالْتِّظُرْ بِرَيْدِ الزُّنَا.

وفي الموضع الثاني : أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَضِّ البَصْرِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ
 ذَلِكَ **[أَرْكَى لَهُمْ]**، وَقَدْ أَعْلَمْنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ التَّزْكِيَةَ
 تَوْجِبُ الْفَلَّاحَ حَيْثُ قَالَ : **[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا]** وَقَالَ :
[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى]، وَمِنَ اللَّطِيفِ أَنَّهُ أَتَى بِالتَّوَكِيدِ هُنَا
 بِنَفْسِ الصِّيغَةِ الَّتِي فِي أَتَى بِهَا فِي آيَةِ السَّابِقَةِ، فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا
 الْأَخُ الْكَرِيمُ عِظَمَ هَذَا الْجَزَاءِ، وَدَاوَمَ عَلَى اسْتِحْضَارِهِ،
 فَيَسَاعِدْكَ فِي عَضِّ بَصْرِكَ.

وَمِنَ اللَّطَائِفِ : أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ آيَةَ التُّورِ فِي قَوْلِهِ : **[اللَّهُ نُورٌ**
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] عَقِبَ قَوْلِهِ : **[قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ**
أَبْصَارِهِمْ] لِيُبدِلَ عَلَى أَنَّ عَضَّ الطَّرْفِ يُورِثُ القَلْبَ نُورًا
 وَإِشْرَاقًا، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ البَصْرِ يُورِثُ ذَلِكَ ظِلْمَةً وَكَأَبَةً. أَفَادَهُ شَيْخُ
 الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ومن الآيات الواردة في هذا الباب: قوله تَعَالَى: **إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** [الإسراء : 36].

وقوله تَعَالَى: **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** [غافر : 19] ، قال ابن عَبَّاسٍ فِي تفسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: "الرَّجُلُ يَكُونُ فِي القَوْمِ قَتْمُرٌ بِهِم المَرَأَةُ فَيُرِيهِم أَنَّهُ يَعْضُ بَصْرَهُ عَنْهَا، فَإِنْ رَأَى مِنْهُم عَفْلَةً نَظَرَ إِلَيْهَا؛ فَإِنْ خَافَ أَنْ يَفْطِنُوا بِهِ عَضَّ بَصْرَهُ عَنْهَا، وَقَدْ أَطْلَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدَّ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَوْرَتِهَا" أَخْرَجَهُ الإمامان أبو بكر ابن أبي شَيْبَةَ و أبو بكر ابن المُنْذِرِ رَجَمَهُمَا اللهُ تَعَالَى وَغَيْرَهُمَا .

وَقَالَ تَعَالَى: **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانََةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَحَمَلَهَا الإنسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** .

قال ابنُ عُمَرَ **فِي تفسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: " مِنْ تَضْيِيعِ الأَمَانَاتِ النَّظْرُ فِي الدُّورِ وَالحُجْرَاتِ "** . أَخْرَجَهُ الإمامُ أبو بكر ابنُ أبي الدُّنْيَا رَجَمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي «الورع» والإمام أبو بكر البيهقي رَجَمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي «شُعَبِ الإِيْمَانِ» .

فصل

في ذكر الأحاديث الواردة في الحَضِّ عَلَى عَضِّ البَصْرِ

أَخْرَجَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ   عَنْ النَّبِيِّ   قَالَ:
 "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ تَصِيبُهُ مِنَ الزَّانَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ،
 الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأَذْنَانِ زَنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ،
 وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زَنَاهَا
 الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ
 يُكَذِّبُهُ".

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ: "وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ وَزَنَاهُمَا
 الْبَطْشُ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ فِرْنَاهُمَا الْمَشْيُ، وَالْفَرْجُ يَزْنِي
 فِرْنَاهُ الْقُبْلُ"

وَأَخْرَجَ الْأئِمَّةُ أَحْمَدُ وَأَبُو بَكْرٍ الْبَرَاءُ وَأَبُو يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ رَحِمَهُمُ
 اللَّهُ تَعَالَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ   عَنْ النَّبِيِّ  
 قَالَ: "الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْفَرْجُ يَزْنِي".
 قَالَ الْإِمَامُ أَبُو زَكْرِيَا النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "مَعْنَى
 الْحَدِيثِ: أَنَّ ابْنَ آدَمَ قُدِّرَ عَلَيْهِ تَصِيبٌ مِنَ الزَّانَا، فَمِنْهُمْ
 مَنْ يَكُونُ زَنَاهُ حَقِيقِيًّا بِإِدْخَالِ الْفَرْجِ فِي الْفَرْجِ الْحَرَامِ،
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ زَنَاهُ مَجَازًا بِالنَّظْرِ الْحَرَامِ أَوْ الْإِسْتِمَاعِ
 إِلَى الزَّانَا وَمَا يَتَّعَلَقُ بِتَخْصِيلِهِ، أَوْ بِالْمَسِّ بِالْيَدِ بَأَن يَمَسَّ
 أَجْنِبَةً بِيَدِهِ، أَوْ يُقْبِلُهَا، أَوْ بِالْمَشْيِ بِالرِّجْلِ إِلَى الزَّانَا، أَوْ
 النَّظْرِ أَوْ اللَّمَسِ، أَوْ الْحَدِيثِ الْحَرَامِ مَعَ أَجْنِبَةٍ، وَنَحْوِ
 ذَلِكَ، أَوْ بِالْفِكْرِ بِالْقَلْبِ. فَكُلُّ هَذِهِ أَنْوَاعٌ مِنَ الزَّانَا
 الْمَجَازِيِّ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يُكَذِّبُهُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ
 قَدْ يُحَقِّقُ الزَّانَا بِالْفَرْجِ، وَقَدْ لَا يُحَقِّقُهُ بِلَا يُوَلِّجُ الْفَرْجَ فِي
 الْفَرْجِ، وَإِنْ قَارَبَ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".
 وَقَدْ جَاءَ نَحْوُ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ   قَالَ: "كُلُّ
 عَيْنٍ فَاعِلَةٌ" يَعْنِي: زَانِيَةٌ. أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ
 رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «مُصَنَّفِهِ» وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ أَبِي

مُوسَى مرفوعاً في «ذمِّ الهوى» .
وجاء كتاب «عُيُونِ الْأَخْبَارِ» للإمام أبي محمد ابن قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيِّ
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : نظر رجل يوماً إلى ابنه وهو يديم النظر إلى
امرأة فقال : **" يَا بُنَيَّ ! نَظْرُكَ هَذَا يُحِيلُ ! "** .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ، عَنْ النَّبِيِّ
، قَالَ : **" إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ ! "** فقالوا: يَا
رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدُّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا . فَقَالَ
رَسُولُ اللهِ : **" فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا
الطَّرِيقَ حَقَّهُ "** . قالوا : وما حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟
قَالَ : **" عَضُّ البَصْرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ
بِالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ "** .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا
قَالَ : **" كَانَ الفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ حَتَّعَمَ ،
فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ
الفَضْلَ إِلَى الشَّقِّ الأَخْر . "** وفي رواية الإمامين أَحْمَدَ وَأَبِي عِيسَى
الترمذِيِّ من حديث عَلِيِّ ، **" وَلَوْى عُتُقَ الفَضْلِ فَقَالَ العَبَّاسُ يَا
رَسُولَ اللهِ ! لِمَ لَوَيْتَ عُتُقَ ابْنِ عَمِّكَ قَالَ : " رَأَيْتُ شَابًا وَشَابَةً
فَلِمَ أَمِنَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمَا " "** .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَرَةَ ، قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللهِ : **" ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ : عَيْنٌ حَرَسَتْ
فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ حَسْبَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ كَفَّتْ
عَنِ مَحَارِمِ اللهِ " "** .

وَأَخْرَجَ الأئِمَّةُ أَحْمَدُ وَأَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حَبَّانَ وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ
رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عُيَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، قَالَ :
**" اَصْمِنُوا لِي بِسِتَا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَصْمِنَ لَكُمْ الجَنَّةَ، أَصْدُقُوا
إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُوا إِذَا أُؤْتِمِنْتُمْ،
وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَعَضُوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُوا أَيْدِيَكُمْ " "**
صَحَّه الحَاكِمُ وغيره .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ۖ أَنَّ النَّبِيَّ ۙ
 ۞ قَالَ لَهُ: " يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزًا فِي الْحَبَةِ وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا،
 فَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ
 الْآخَرَى".

وَقَوْلُهُ ۞ لِعَلِيِّ ۙ "إِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا": أَيُّ ذُو قَرْنَيْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَذَلِكَ
 لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ شَجَّتَانِ فِي قَرْنَيْ رَأْسِهِ أَحَدُهُمَا مِنْ ابْنِ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ
 وَالْآخَرَى مِنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ . قَالَهُ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى .

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ ۞ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ۙ لِعَلِيِّ ۙ:
 " يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ
 لَكَ الْآخَرَى " حَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ۙ: " قَوْلُهُ ۞: " فَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ..
 إِلْح " رُبَّمَا تَحَايَلَ أَحَدٌ جَوَّازَ الْقَصْدِ لِلأُولَى وَلَيْسَ كَذَلِكَ،
 وَإِنَّمَا الْأُولَى الَّتِي لَمْ يَقْصِدْهَا " .

وَفِي أَفْرَادِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ۙ قَالَ: " سَأَلْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ ۙ عَنِ النَّظْرَةِ الْفَجَاءَةِ قَالَ اصْرَفْ نَظْرَكَ " قَالَ
 ابْنُ الْجَوْزِيِّ ۙ: " وَهَذَا لِأَنَّ الْأُولَى لَمْ يَحْضُرْهَا الْقَلْبُ، وَلَا
 يَتَأَمَّلُ بِهَا الْمَحَاسِنَ، وَلَا يَقَعُ الْإِلْتِدَادُ بِهَا، فَمَتَى
 اسْتَدَامَهَا مِقْدَارَ حُضُورِ الذَّهْنِ كَانَتْ كَالثَّانِيَةِ فِي الْأَثْمِ " .

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ ۙ عَنِ النَّبِيِّ ۙ
 قَالَ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ ثُمَّ يَعْصُ
 بَصْرَهُ إِلَّا أَخَذَتْ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ خَلَاوَتَهَا فِي قَلْبِهِ " . قَالَ
 الْحَافِظُ أَبُو الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي

«تفسيره»: " وَرُويَ هَذَا مَرْفُوعًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَخُذِيفَةَ
 وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهَا ضَعْفٌ، إِلَّا
 أَنَّهَا فِي التَّرْغِيبِ، وَمِثْلُهُ يُتَسَامَحُ فِيهِ " .

وَرَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ۙ
 قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ۙ: " كُلُّ عَيْنٍ بَاكِئَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا

**عُصَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَعَيْنًا سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
 وَعَيْنًا خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الدُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " .
 وَرَوَى عَنْ أَبِي أَمَامَةَ ۖ عَنْ النَّبِيِّ ۖ قَالَ ۖ " لَتُعْصَنَ أَبْصَارُكُمْ،
 وَلَتُحْفَظَنَّ فُرُوجُكُمْ، أَوْ لِيَكْسِفَنَّ اللَّهُ وُجُوهَكُمْ " .
 وَفِي «صَحِيحِ الْحَاكِمِ» وَ«مُسْنَدِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ» رَجِمَهُمَا اللَّهُ
 تَعَالَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : " مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ
 يُتَادِيَانِ وَيُلُّ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَيُلُّ لِلنِّسَاءِ مِنَ
 الرِّجَالِ " . فِي إِسْنَادِهِ خَارِجَةٌ بِنِ مِصْعَبٍ، قَالَ الدَّهَبِيُّ فِي
 التَّلْخِيسِ : " خَارِجَةٌ وَاهٍ " .**

فَصْلٌ

في ذكر أخبار السلف في عَضِّ البَصْرِ وحرصهم على ذلك
 أَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ إِبْنِ مَسْعُودٍ   مَرْفُوعًا: " **الإِثْمُ حَوَازُ القُلُوبِ وَمَا مِنْ نَظْرَةٍ إِلاَّ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهَا مَطْمَعٌ** ". قال المُنْذِرِيُّ: "رواته لا أعلم فيهم مجروحاً،
 لكن قيل صوابه الوقوف، وَمَعْنَى حَوَازٍ: هُوَ مَا يَحُوزُهَا وَيَغْلِبُ عَلَيْهَا حَتَّى تَرْتَكِبَ مَا لَا يَحْسُنُ، وَقِيلَ يَتَخَفِفُ
 الوَاوُ وَتَشْدِيدُ الرَّايِ جَمْعُ حَازَةٍ وَهِيَ الأُمُورُ الَّتِي تَحْرُ فِي القُلُوبِ وَتَحْكُ وَتُوَثِّرُ وَتَتَخَالَجُ فِي القُلُوبِ فَتَكُونُ مَعَاصِي، وَهَذَا أَشْهَرُ ". وَمِنْهُ "الإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ " .

وَأَخْرَجَ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ   قَالَ: "لأنَّ تَمْتَلِي مَنْخَرِي مِنْ رِيحِ حَيْفَةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَمْتَلِيَانِ مِنْ رِيحِ امْرَأَةٍ " .

وَأَخْرَجَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ   قَالَ: "لأنَّ أَرَاخِمَ بَعِيرًا مَطْلِيًّا بِقَطْرَانٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاخِمَ امْرَأَةً " .
 وَأَخْرَجَ ابنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسٍ   قَالَ: "إِذَا مَرَّتْ بِكَ امْرَأَةٌ فَغَمِّضْ عَيْنَيْكَ حَتَّى تُجَاوِزَكَ " . أَخْرَجَهُ الإمامُ أبو بكر ابنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي «مُصَنَّفِهِ» ، وَفِي إِسْنَادِهِ خَالِدُ بْنُ مَجْدُوحٍ وَهُوَ تَالِفٌ .

وَفِي «كِتَابِ الوَرَعِ» للإمامِ أحمد: عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَرَّوَانَ الرِّقَاشِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ  : مَا لِي أَرَى عَيْنَيْكَ تَافِرَةً؟ فَقُلْتُ: إِنِّي التَفْتُ التَّفَاتَةَ فَإِذَا جَارِيَةٌ مُنْكَشِفَةٌ لِبَعْضِ الحَبَشِ فَلَحَظْتُهَا لِحَطَّةٍ فَصَكَّكْتُهَا صَكَّةً-أَي: عَيْنُهُ- إِلَى مَا تَرَى!. فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: اسْتَغْفِرِ رَبَّكَ فَإِنَّكَ قَدْ ظَلَمْتَ عَيْنَيْكَ، لَكَ أَوَّلُ نَظْرَةٍ وَعَلَيْكَ مَا بَعْدَهَا " .
 وَفِي البُخَارِيِّ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الحَسَنِ لِلحَسَنِ: إِنَّ نِسَاءَ العَجَمِ يَكْشِفْنَ صُدُورَهُنَّ وَرُءُوسَهُنَّ! قَالَ: "أَصْرِفْ بَصْرَكَ عَنْهُنَّ " .

وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: **"نَظْرَةُ يَهْوَاهَا القَلْبُ، فَلَا خَيْرَ فِيهَا"**.
 وَأُخْرِجَ عَنْ مُوسَى الجُهَنِيِّ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: **"كُنْتُ مَعَ سَعِيدِ بْنِ خُبَيْرٍ فِي طَرِيقٍ فَاسْتَقْبَلْتَنَا امْرَأَةٌ فَنَظَرْنَا إِلَيْهَا جَمِيعًا، ثُمَّ إِنَّ سَعِيدًا عَضَّ بَصْرَهُ، فَتَظَرْتُ إِلَيْهَا، فَقَالَ لِي سَعِيدٌ: الأُولَى لَكَ، وَالثَّانِيَةُ عَلَيْكَ"**.
 وَأُخْرِجَ عَنْ قَيْسِ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: **"كَانَ يُقَالُ: النَّظْرَةُ الأُولَى لَا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ، وَلَكِنِ الَّذِي يَدُسُّ النَّظْرَ دَسًا .."**.
 وَأُخْرِجَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَابْنِ سَيْرِينَ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: **"أَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ فِي الطَّرِيقِ، أَلَيْسَ لِي النَّظْرَةُ الأُولَى ثُمَّ أَصْرِفُ عَنْهَا بَصْرِي؟"** قَالَ: **أَمَّا تَقْرَأُ القُرْآنَ: [يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ]** [غافر: 19].

وَأُخْرِجَ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: **"كَانَ طَلُوسٌ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَصْحَبُ رَفْعَةً فِيهَا امْرَأَةٌ"**.
 وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْوَرَعِ» وَأَبُو نَعِيمٍ الأَصْبَهَانِيُّ فِي «الجَلِيَّةِ» رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: **"مَا أَحَبُّ أَنِّي بَصِيرٌ، كُنْتُ نَظَرْتُ نَظْرَةً وَأَنَا شَابٌ"**.
 وَفِي «الجَلِيَّةِ»: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: **"نَظَرْتُ إِلَى امْرَأَةٍ فَأَعْجَبْتَنِي فَكُفَّ بَصْرِي فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَفَّارَةً"**.
 وَأُخْرِجَ عَنْ وَكَيْعِ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: **"خَرَجْنَا مَعَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي يَوْمِ عِيدٍ فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا تَبَدَّى بِهِ فِي يَوْمِنَا عَضُّ أَبْصَارِنَا"**.
 وَأُخْرِجَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّرَادِ قَالَ: **"خَرَجَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانَ رَجِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى العِيدِ، فَقِيلَ لَهُ لِمَا رَجَعْتَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا عِيدًا أَكْثَرَ نِسَاءً مِنْهُ! قَالَ: مَا تَلَقْتَنِي امْرَأَةٌ حَتَّى رَجَعْتُ"**.
 وَفِي رِوَايَةٍ لِهَمَّا: **"خَرَجَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانَ يَوْمَ العِيدِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: كَمْ مِنْ امْرَأَةٍ حَسَنَةٍ قَدْ**

تَظَرَّتِ اليَوْمَ إِلَيْهَا؟! فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ قَالَ: وَيْحَكَ! مَا تَظَرْتُ إِلَّا فِي إِبْهَامِي مُنْذُ خَرَجْتُ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْكَ".
وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ
سَمِعْتُ أَبِي وَأَسْنَدَهُ قَالَ: "لَرُبَّ نَظْرَةٍ لَأَنْ تَلْقَى الأَسَدَ
فِيأَكْلَكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهَا".

وَأَخْرَجَ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: "لَا
تُتَبِعُوا النَّظَرَ النَّظْرَ، فَرُبَّمَا نَظَرَ العَبْدُ النَّظْرَةَ يَنْعَلُ مِنْهَا
قَلْبُهُ كَمَا يَنْعَلُ الأَدِيمُ فِي الدَّبَاغِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ".
وَأَخْرَجَ عَنْهُ: "لَا تُتَبِعَ بَصْرَكَ حُسْنَ رِذَاءِ المَرْأَةِ، فَإِنَّ
النَّظَرَ يَجْعَلُ الشَّهْوَةَ فِي القَلْبِ". أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ
وغيره.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الجوزيِّ فِي «ذِمِّ الهوى» عَنْ ذِي النُّونِ المِصْرِيِّ
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: "اللَّحْظَاتُ تَوَرَّتْ الحَسْرَاتِ، أَوْلَهَا
أَسْفٌ وَأَخْرُهَا تَلْفٌ، فَمَنْ تَابَعَ طَرْفَهُ تَابَعَ حَتْفَهُ".
وفيه: قَالَ سُفْيَانُ: "كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ يَعْضُ بَصْرَهُ فَمَرَّ
بِهِ نِسْوَةٌ فَأَطْرَقَ حَتَّى طَنَّ النِّسْوَةُ أَنَّهُ أَعْمَى، فَتَعَوَّذَ
بِاللهِ مِنَ العَمَى!".

وفي البُخَارِيِّ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي النَّظْرِ إِلَى التِّي لَمْ تَحِضْ مِنَ
النِّسَاءِ: لَا يَصْلُحُ النَّظْرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُنَّ مِمَّنْ يُشْتَهَى
النَّظْرُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً.
وفي تَفْسِيرِ القُرْطُبِيِّ: "وَلَقَدْ كَرِهَ الشَّعْبِيُّ أَنْ يُدِيمَ
الرَّجُلُ النَّظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ أَوْ أُمَّه أَوْ أُخْتِهِ، وَزَمَانُهُ خَيْرٌ مِنْ
زَمَانِنَا هَذَا!!".

وفي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ»: قَالَ شُجَاعُ الكَرْمَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:
"مَنْ عَمَرَ ظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَبَاطِنَهُ بِدَوَامِ المُرَاقَبَةِ،
وَعَضَّ بَصْرَهُ عَنِ المَخَارِمِ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ
وَأَكَلَ مِنَ الحَلَالِ، لَمْ تُحْطِئْ فِرَاسَتُهُ" وَكَانَ شُجَاعٌ لَا تُحْطِئُ
لَهُ فِرَاسَةٌ.

فَصْلٌ

في ذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ كَلَامِ العُلَمَاءِ فِي عَضِّ البَصْرِ

في «كتاب الورع» للإمام أحمد: قال المَرُوزِيُّ: قُلْتُ لِأبي عَبْدِ
 اللّهِ: رَجُلٌ تَابَ وَقَالَ: لَوْ ضَرَبَ ظَهْرِي بِالسِّيَاطِ مَا دَخَلْتُ فِي
 مَعْصِيَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ النَّظْرَ!. قَالَ: «أَيُّ تَوْبَةٍ هَذِهِ!!»
 وفيه: قُلْتُ لِأَحْمَدَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى المَمْلُوكَةِ؟
 قَالَ: أَخَافُ عَلَيْهِ الفِئْتَةَ، كَمْ نَظْرَةٌ أَلْقَتْ فِي قَلْبِ
 صَاحِبِهَا البَلَابِلَ. وَقَالَ اليُّحَارِيُّ فِي «صحيحه»: «وَكَرَهُ عَطَاءُ
 النَّظْرَ إِلَى الجَوَارِي يُبْعَنَ بِمَكَّةَ، إِلَّا أَنْ يُرِيدَ أَنْ يَشْتَرِيَ»
 وَقَالَ الإِمَامُ الحَارِثُ المُحَاسِبِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى فِي «رِسَالَةِ
 المُسْتَرِشِدِينَ»: «قَدْ جَعَلَ اللّهُ عَلَى كُلِّ جَارِحَةٍ أَمْرًا وَنَهْيًا
 فَرِيضَةً مِنْهُ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا سِعَةً وَإِبَاحَةً تَرْكَهَا فَضِيلَةٌ
 لِلْعَبْدِ». ثُمَّ قَالَ: «وَفَرَضَ البَصْرَ: العَضُّ عَنِ المَحَارِمِ،
 وَتَرَكَ التَّمَلُّعَ فِيمَا حُجِبَ وَسُتِرَ»
 وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ العَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى فِي «الإِحْيَاءِ»: «
 زَنَا العَيْنِ - أَي: النَّظْرُ - مِنْ كِتَابِيرِ الصَّغَائِرِ وَهُوَ يُؤَدِّي
 إِلَى القُرْبِ عَلَى الكَبِيرَةِ الفَاجِشَةِ وَهِيَ زَنَا القَرَجِ، وَمَنْ
 لَمْ يَقْدِرْ عَلَى عَضِّ بَصْرِهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى حِفْظِ قَرَجِهِ»
 قُلْتُ: وَقَوْلُ أَبِي حَامِدٍ: «مِنْ كِتَابِيرِ الصَّغَائِرِ» إِذَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلُهُ
 مُصِرًّا عَلَيْهِ فَقَدْ قَالُوا: لَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ، وَقَدْ رَوَى البَيْهَقِيُّ
 فِي «الشُّعَبِ» عَنِ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ قَالَ: «كُلُّ مَا عُصِيَ اللّهُ
 بِهِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ، وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْفَةَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ
 لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. وَاللّهُ أَعْلَمُ.
 وَقَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «المَوَاعِظِ وَالمَجَالِسِ»: «أَكْثَرُ فَسَادِ
 القَلْبِ مِنْ تَخْلِيطِ العَيْنِ: مَا دَامَ بَابُ عَيْنِ البَصْرِ مُوثِقًا
 فَالْقَلْبُ سَلِيمٌ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، فَإِذَا فُتِحَ طَارَ الطَّائِرُ، وَرُبَّمَا
 لَمْ يَعُدْ بَعْدُ»
 وَقَالَ فِي «ذَمِّ الهَوَى» بَعْدَ أَنْ قَالَ كَلَامًا فِي عَضِّ

البصر "فتفهم يا أخي ما أوصيك به، إنما بصرك نعمة من الله عليك فلا تعصه بنعمه، وعامله بغضه عن الحرام تريح، واحذر أن تكون العقوبة سلب تلك النعمة، وكل زمن الجهاد في الغض لحظة، فإن فعلت نلت الخير الجزيل، وسلمت من الشر الطويل ألم تسمع قول القائل:

عزرت في ظل	إني إذا ذل
القناعة	الحريص
فالشجاعة صبر	وأقول للنفس
ساعة	اطمئني

وقال الإمام أبو عبد الله القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «تفسيره»: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله».

وقال الإمام ابن مفلح الحنبليُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الفروع»: «وليحذر العاقل من إطلاق البصر، فإن العين ترى غير المقدور عليه على غير ما هو عليه، ورُبما وقع من ذلك العشق، فيهلك البدن والدين! وكم من نظرة ألفت في قلب صاحبها البلائل! . وروى الحاكم في «تاريخه» عن ابن عُيينة قال: حَدَّثني عَبْدُ اللهِ بنُ المُبارك، وَكَانَ عاقِلاً، عَن شَيْخٍ مِنَ أَشْيَاحِ الشَّامِ قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ أَسْبَابَ الْفِتْنَةِ نَفْسَهُ أَوْلًا لَمْ يَنْجُ آخِرًا، وَإِنْ كَانَ جَاهِدًا».

أما كلامُ الإمام المُحَقِّقِ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ قِيَمِ الجوزية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في هَذَا البَابِ فَإِنَّهُ غَايَةٌ فِي النِّقَاسَةِ وَالْأَهْمِيَّةِ، وَسَنَذَكُرُ فِي الفِصْلِ القَادِمِ شَيْئًا مِنْهُ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قَالَ فِي «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»: «أما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها، وحفظها أصل

حَفْظِ الفَرْجِ، فَمَنْ أَطْلَقَ بَصْرَهُ أَوْرَدَهُ مَوَارِدَ
 الِهَلَكَاتِ، وَالنَّظْرُ أَصْلُ عَامَّةِ الحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ
 الْإِنْسَانَ، فَإِنَّ النَّظْرَةَ تُؤَلِّدُ خَطْرَةً، ثُمَّ تُؤَلِّدُ الخَطْرَةَ
 فِكْرَةً، ثُمَّ تُؤَلِّدُ الفِكْرَةَ شَهْوَةً، ثُمَّ تُؤَلِّدُ الشَّهْوَةَ إِرَادَةً، ثُمَّ
 تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَارِمَةً فَيَقَعُ الفِعْلُ وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْتَنِعْ
 مِنْهُ مَا يَنْبَغُ، وَفِي هَذَا قِيلَ: (الصَّبْرُ عَلَى عَضِّ الطَّرْفِ أَيْسَرُ
 مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلْمِ بَعْدَهُ) .

وقال في «الفوائد»: "إِذَا عَرَضَتْ نَظْرَةٌ لَا تَجِلُّ، فَاعْلَمْ
 أَنَّهَا مِسْعَرُ حَرْبٍ فَاسْتَرِ مِنْهَا بِحِجَابٍ: □ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
 ..□". فَقَدْ سَلِمَتْ مِنَ الأَثْرِ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ
 القِتَالَ".

وَقَالَ الشَّيْخُ شَرْفُ مُحَمَّدِ الحِجَاوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي «شَرْحِهِ
 لِمَنْظُومَةِ الأَدَابِ»: "فُضُولُ النَّظْرِ أَصْلُ البَلَاءِ لِأَنَّهُ رَسُولُ
 الفَرْجِ، أَعْنِي الأَقْفَةَ العُظْمَى وَالبَلِيَّةَ الكُبْرَى، وَالزَّنَا إِنَّمَا
 يَكُونُ سَبَبُهُ فِي الغَالِبِ النَّظْرَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى
 الإِسْتِحْسَانِ وَوُقُوعِ صُورَةِ المَنْظُورِ إِلَيْهِ فِي القَلْبِ
 وَالفِكْرَةِ، فَهَذِهِ الفِئْتَةُ مِنْ فُضُولِ النَّظْرِ، وَهُوَ مِنْ
 الأَبْوَابِ الَّتِي تُفْتَحُ لِلشَّيْطَانِ عَلَى ابْنِ آدَمَ .

فَصْلٌ

فِي فَوَائِدِ عَضِّ البَصْرِ، مِنْ كَلَامِ الإِمَامِ ابْنِ القَيْمِ

ذَكَرَهَا فِي «الجَوَابِ الكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي» وَفِي
 «رَوْضَةِ المُجِيبِينَ وَنُزْهَةِ المُسْتَأَقِينَ»، وَهِيَ عَايَةُ فِي التَّفَاسِتَةِ
 وَالرَّوَعَةِ، حَرِيَّةٌ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَهِيَ أَنَا أَذْكَرُهَا هُنَا بِشَيْءٍ مِنَ
 التَّصَرُّفِ .

قَالَ: "إِحْدَاهَا: تَخْلِيمُ القَلْبِ مِنَ الحَسْرَةِ فَإِنَّ مَنْ
 أَطْلَقَ نَظْرَهُ دَامَتْ حَسْرَتُهُ، فَأَصْرُ شَيْءٍ عَلَى القَلْبِ

إِزْسَالُ البَصْرِ، فَإِنَّهُ يُرِيهِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى وُضُوءِهِ وَلَا
صَبْرَ لَهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ غَايَةُ الأَلَمِ .
وَكُنْتَ مَتَى أُرْسَيْتَ لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعَبْتِكَ
طَرْفَكَ رَائِدًا رَأَيْتَ المَنَاظِرُ
الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ
أَنْتَ صَابِرٌ أَنْتَ صَابِرٌ

الثَّانِيَةُ: أَنْ عَضَّ الطَّرْفُ يُورِثُ القَلْبَ نُورًا وَإِشْرَاقًا
يُظْهِرُ فِي العَيْنِ وَفِي الوَجْهِ وَفِي الجَوَارِحِ، كَمَا أَنَّ
إِطْلَاقَ البَصْرِ يُورِثُ ذَلِكَ ظِلْمَةً وَكَأَبَةً .
الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ صِحَّةَ الفِرَاسَةِ فَإِنَّهَا مِنَ النُّورِ
وَتَمَرَاتِهِ، فَإِذَا اسْتَنَارَ القَلْبُ صَحَّتْ الفِرَاسَةُ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ
بِمَنْزِلَةِ المِرْآةِ المَجْلُوءَةِ تَطْهَرُ فِيهَا المَعْلُومَاتُ كَمَا هِيَ،
وَالنَّظْرُ بِمَنْزِلَةِ التَّنْفُسِ فِيهَا، فَإِذَا أُطْلِقَ العَبْدُ نَظْرَهُ
تَنَفَّسَتْ الصُّعَدَاءُ فِي مِرْآةِ قَلْبِهِ فَطَمَسَتْ نُورَهَا كَمَا قِيلَ
فِي ذَلِكَ:

مِرْآةُ قَلْبِكَ لَا تُرِيكَ وَالتَّنْفُسُ فِيهَا
صَلَاحَهُ دَائِمًا تَتَنَفَّسُ

وَقَالَ شُجَاعُ الكَرْمَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "مَنْ عَمَرَ
طَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَبِاطْنَهُ بِدَوَامِ المُرَاقَبَةِ، وَعَضَّ
بَصْرَهُ عَنِ المَحَارِمِ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَأَكَلَ مِنَ
الْحَلَالِ، لَمْ تُخْطِئْ فِرَاسَتُهُ" .
وَكَانَ شُجَاعٌ لَا تُخْطِئُ لَهُ فِرَاسَةٌ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ
يَجْزِي العَبْدَ مِنْ حَيْسِ عَمَلِهِ، فَمَنْ عَضَّ بَصْرَهُ عَنْ
المَحَارِمِ عَوَّضَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ إِطْلَاقَ نُورِ بَصِيرَتِهِ، فَلَمَّا
حَبَسَ بَصْرَهُ لَهُ تَعَالَى، أُطْلِقَ لَهُ بَصِيرَتَهُ جَزَاءً وَفَاقًا .
الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُ طَرِيقَ العِلْمِ وَأَبْوَابَهُ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ
أَسْبَابَهُ وَذَلِكَ سَبَبُ نُورِ القَلْبِ، فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَنَارَ ظَهَرَتْ
فِيهِ حَقَائِقُ المَعْلُومَاتِ، وَانْكَشَفَ لَهُ بِسُرْعَةٍ، وَتَفَدَّ مِنْ

بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ .
 وَمَنْ أُرْسِلَ بَصْرُهُ تَكَدَّرَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَأَظْلَمَ، وَانْسَدَّ عَلَيْهِ
 بَابُ الْعِلْمِ وَأُجْحِمَ .
 الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ قُوَّةَ الْقَلْبِ وَتَبَاتَهُ وَشَجَاعَتَهُ،
 فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانَ البَصِيرَةِ مَعَ سُلْطَانَ الْحُجَّةِ .
 وَفِي آثَرِ: أَنَّ الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرُقُ الشَّيْطَانَ مِنْ
 ظِلِّهِ، وَلِذَا يُوجَدُ فِي الْمُتَّبِعِ لَهُوَاهُ مِنْ ذَلِّ الْقَلْبِ وَضَعْفِهِ
 وَمَهَانَةِ النَّفْسِ وَخَفَارَتِهَا مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِمُؤَثِّرِ هَوَاهُ عَلَى
 رِضَاهُ، بِخِلَافِ مَنْ آثَرَ رِضَا مَوْلَاهُ عَلَى هَوَاهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزِّ
 الطَّاعَةِ وَحِضْنِ التَّقْوَى، بِخِلَافِ أَهْلِ المَعَاصِي وَالْأَهْوَاءِ .
 قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُمْ وَإِنْ هَمَلَجْتَ بِهِمُ البِغَالَ، وَطَقَطَقْتَ
 بِهِمُ البِرَادِينَ، فَإِنَّ ذَلَّ المَعْصِيَةَ لَفِي قُلُوبِهِمْ، أَبِي اللَّهُ إِلَّا
 أَنْ يُدَلَّ مَنْ عَصَاهُ .

وَقَالَ بَعْضُ المَشَايخِ: النَّاسُ يَطْلُبُونَ العِزَّ فِي أَبْوَابِ
 المُلُوكِ وَلَا يَجِدُونَهُ إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ
 فَقَدْ وَآلَاهُ فِيمَا أَطَاعَهُ فِيهِ، وَمَنْ عَصَاهُ عَادَاهُ فِيمَا عَصَاهُ
 فِيهِ .

وَفِي دُعَاءِ القُنُوتِ: إِنَّهُ لَا يُدَلُّ مِنْ وَآلَيْتِ، وَلَا يُعَزُّ مَنْ
 عَادَيْتِ .

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ سُرُورًا وَفَرَحَةً أَعْظَمَ مِنْ
 الِاتِّدَادِ بِالنَّظَرِ، وَذَلِكَ لِقَهْرِهِ عَدُوَّهُ وَقَمْعِهِ شَهْوَتَهُ
 وَنُضْرَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَفَّ لِدَتَهُ وَحَبَسَ شَهْوَتَهُ لِلَّهِ
 تَعَالَى وَفِيهِمَا مَصِيرَةٌ بِنَفْسِهِ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ، أَغَاصَهُ اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ مَسْرَةً وَلَذَّةً أَكْمَلَ مِنْهُمَا، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:
 "وَاللَّهُ لِلذَّةِ العَفَّةِ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ الذَّنْبِ" .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ النِّفْسَ إِذَا خَالَفَتْ هَوَاهَا أَغْقَبَهَا ذَلِكَ فَرَحًا
 وَسُرُورًا وَلَذَّةً أَكْمَلَ مِنْ لَذَّةِ مُوَافَقَةِ الهَوَى بِمَا لَا نِسْبَةَ
 بَيْنَهُمَا، وَهَذَا يَمْتَنَزُ العَقْلُ مِنَ الهَوَى .
 السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُخْلِصُ الْقَلْبَ مِنْ أَسْرِ الشَّهْوَةِ، فَلَا أَسْرَ

أَشَدُّ مِنْ أَسْرِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى، قَدْ سَلَبَ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ،
وَعَزَّ عَلَيْهِ الدَّوَاءُ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ:

كِعْصُفُورَةٍ فِي كَفِّ
طِفْلِ يَسُومُهَا
حِيَاضِ الرَّدَى
وَالطِّفْلِ يَلْهُو
وَيَلْعَبُ

الثَّامِيَةُ: أَنَّهُ يَسُدُّ عَنْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، فَإِنَّ النَّظَرَ
بَابُ الشَّهْوَةِ الْحَامِلَةِ عَلَى مُوَاقِعَةِ الْعِغْلِ، وَتَحْرِيمُ الرَّبِّ
تَعَالَى وَسُرْعُهُ حِجَابٌ مَانِعٌ مِنَ الْوُضُولِ، فَمَتَى هَتَكَ
الْحِجَابُ تَجَرَّأَ عَلَى الْمَحْظُورِ، وَلَمْ تَقِفْ نَفْسُهُ مِنْهُ عِنْدَ
غَايَةٍ، لِأَنَّ النَّفْسَ فِي هَذَا الْبَابِ لَا تَقْنَعُ بِغَايَةٍ تَقِفُ
عِنْدَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ لَدَتَهُ فِي الشَّيْءِ الْجَدِيدِ .
فَصَاحِبُ الطَّارِفِ لَا يَقْنَعُهُ التَّيْلِيدُ، وَإِنْ كَانَ أَحْسَنَ مِنْهُ
مَنْظَرًا أَوْ أَطْيَبَ مَخْبَرًا .

فَعَضُّ البَصْرِ يَسُدُّ عَنْهُ هَذَا الْبَابَ، الَّذِي عَجَزَتْ الْمُلُوكُ
عَنْ اسْتِيفَاءِ أَعْرَاضِهِمْ فِيهِ، وَفِيهِ عَضَبُ رَبِّ الْأَرْبَابِ .
الثَّاسِعَةُ: أَنَّهُ يَقْوَى عَقْلُهُ وَيُتَبَّنُهُ وَيَزِيدُهُ، فَإِذَا سَالَ البَصْرُ
لَا يَحْضِلُ إِلَّا مِنْ قِلَّةٍ فِي الْعَقْلِ، وَطَيْشٍ فِي اللَّبِّ، وَخَوْرٍ
فِي الْقَلْبِ، وَعَدَمِ مُمْلَاحَةِ الْعَوَاقِبِ، فَإِنَّ خَاصَّةَ الْعَقْلِ
مُمْلَاحَةُ الْعَوَاقِبِ، وَمُزْبِلُ الطَّرْفِ لَوْ عَلِمَ مَا تَجْنِي
عَوَاقِبُ طَرْفِهِ عَلَيْهِ لَمَا أَطْلَقَ بَصْرَهُ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُهُمْ:
وَأَعْقَلَ النَّاسِ مَنْ لَمْ حَتَّى يُفَكِّرَ مَا
يَزْتَكِبُ سَبَباً تَجْنِي عَوَاقِبُهُ

الْعَاشِرَةُ: أَنَّهُ يُخَلِّصُ الْقَلْبَ مِنْ سَكْرَةِ الشَّهْوَةِ وَرَفْدَةِ
الْغَفْلَةِ، فَإِنَّ إِطْلَاقَ البَصْرِ يُوجِبُ اسْتِحْكَامَ الْعَقْلِ عَنْ
اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، وَيُوقِعُ فِي سَكْرَةِ الْعِشْقِ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى فِي عُشَاقِ الصُّورِ: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ" فَالنَّظَرَةُ كَأَسُّ مِنْ خَمْرِ، وَالْعِشْقُ سُكْرٌ ذَلِكَ
الشَّرَابُ .
وَآفَاتُ الْعِشْقِ تَكَادُ تُقَارِبُ الشَّرْكَ، فَإِنَّ الْعِشْقَ يَتَعَبَّدُ

الْقَلْبَ الَّذِي هُوَ بَيْتُ الرَّبِّ لِلْمَعْشُوقِ " . اهـ كلامُهُ ولا مَزِيدَ عَلَيْهِ .

وَقَوَائِدُ عَضِّ البَصْرِ وَأَفَاتِ إِطْلَاقِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُدْكَرَ، وَفِيهَا ذِكْرُنَا كِفَايَةً، وَقَدْ عَلِمْتَ القَوَائِدَ وَالْأَفَاتِ فِي ضَمْنِهَا، فَمَا مِنْ قَائِدَةٍ إِلَّا تَرَكُّهَا آفَةٌ وَمَفْسَدَةٌ .

فصل

فِي مُعَالِجَةِ الهمِّ والفكر المتولِّدِ عَنِ النَّظْرِ
قال ابن الجوزي في «ذم الهوى» : «إعلم وفقك الله أنك إذا امتثلت المأمور به من عض البصر عند أول نظرة سلمت من آفات لا تُحصى، فإذا كررت النظر لم تأمن أن يزرع في قلبك زرعاً يصعبُ قلعُهُ، فإن كان قد حصل ذلك فعلاجه بالحمية بالعض فيما بعد، وقطع مراد الفكر بسد باب النظر فحينئذ يسهلُ علاجُ الحاصل في القلب لأنه إذا اجتمع سيلُ فسد مجراه، سهلَ نزع الحاصل، ولا علاج للحاصل في القلب أقوى من قطع أسبابه، ثم زجر الاهتمام به خوفاً من عُقُوبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَتَى شرعت في استعمال هذا الدواء، رُجِيَ لَكَ قُرْبُ السَّلَامَةِ، وَإِنْ ساكنت الهم ترقى إلى درجة العزم، ثُمَّ حَرَّكَ الجَوَارِحَ» .

فصل

فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنَ الأشعارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ
فِي «بَهْجَةِ المَجَالِسِ وَأَنَسِ المَجَالِسِ» للإمام أبي عمر ابن عبد البر رحمه الله تعالى: قال محمود الوراق:

من أطلق الطرف	وحارسُ الشهوة
اجتنبى شهوة	عضُّ البصر
و الطرف للقلب	أرادَ تُطْلَقاً فليُكْرَ
لسانُ فإن	النظر!

وفيه : وقال آخرُ:

خَلِيلِي لِلْبَغْضَاءِ
عَيْنٌ مُبِينَةٌ
إِلَّا إِنَّمَا الْعَيْنَانِ
لِلْقَلْبِ رَائِدٌ

وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تُرَى
وَمَعَارِفُ
فَمَا تَأَلَّفُ الْعَيْنَانِ
فَالْقَلْبُ يَأَلْفُ

وفي «ذمُّ الهوي» :

لَيْسَ الشَّجَاعُ الَّذِي
يَحْمِي مَطِيئَتَهُ
لَكِنْ فَتَى عَضِّ
طَرْفًا أَوْ ثَنَى بَصْرًا

يَوْمَ النَّزَالِ وَنَارُ
الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ عَنِ
الْحَرَامِ، فَذَاكَ
الْفَارِسُ الْبَطْلُ

وفيه : قَالَ الْقَرَزْدُقُ:

تَرْوَدُ مِنْهَا نَظْرَةٌ
لَمْ تَدْعُ
فَلَمْ أَرِ مَعْتُولًا
وَلَمْ أَرِ قَاتِلًا

لَهُ فُؤَادًا وَلَمْ يَشْعُرْ
بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا بِغَيْرِ
سِلَاحٍ مِثْلَهَا حِينَ
أَقْصَدَا

وفي نفس المعنى قَالَ آخِرُ:

وَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ
عَدُوٍّ وَخَاسِدٍ
هُمَا اغْتَوَرَانِي نَظْرَةً
ثُمَّ فِكْرَةً

فَأَيُّ مَنْ عَيْنِي
أَتَيْتُ وَمِنْ قَلْبِي
فَمَا أَبْقِيَا لِي مِنْ
رُقَادٍ وَلَا لَبٍّ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

مُتَيْمٌ يَرْعَى نُجُومَ
الدَّجَى عَيْنِي

يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً
عَازِلُهُ

أَشَاطَتْ بِدَمِي فِي
الْهَوَى
فَابْكُوا قَتِيلًا
بِعَضِّهِ قَاتِلُهُ

وَقَالَ أَحْزُ:

يَا قَاتِلَ اللَّهِ
الْجُفُونَ فَإِنَّهَا
وَأَنْشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «الدَّاءِ وَالذَّوَاءِ» لِنَفْسِهِ:
مَلَّ السَّلَامَةَ فَأَعْتَدَتْ
لَحْظَاتِهِ مَا
زَالَ يُتْبِعُ إِثْرَهُ
لَحْظَاتِهِ
مَهْمَا رَمَتْ لَمْ تُحْطِ
شَاكِلَةُ الرَّمِي
وَقَفَا عَلَى طَلَلٍ
يَطْنُ جَمِيلًا
حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ
قَتِيلًا

وفيه:

مَا زِلْتُ تُتْبِعُ نَظْرَةً فِي
نَظْرَةٍ وَتَظُنُّ
ذَلِكَ دَوَاءَ جُرْحِكَ وَهُوَ
فِي النَّاسِ فَذَبَحْتَ طَرْفَكَ
بِاللَّحَاطِ وَبِالْبُكَاءِ
فِي إِثْرِ كُلِّ مَلِيحَةٍ
وَمَلِيحٍ
حَقِيقٍ تَخْرِيجُ عَلَى
تَخْرِيجِ فَالْقَلْبُ مِنْكَ
دَبِيحُ ابْنِ دَبِيحٍ

وَأَنْشَدَ فِي «رَوْضَةِ الْمُجِيبِينَ وَنُزْهَةِ الْمُشْتَاقِينَ»:

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَسْرِقْ
مَلَا حِطْلَهُ نَصَبْتُ
طَرْفِي لَهُ لَمَّا بَدَا
شَرَكًا
فَسَارِقُ اللَّحْظِ لَا
يَنْجُو مِنَ الدَّرَكِ فَكَانَ
قَلْبِي أَوْلَى مِنْهُ
بِالشَّرِكِ

وفي «شرح منظومة الآداب» للشيخ محمد
السفاري رحمه الله تعالى: وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْإِمَامِ
الصَّرْصَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ:

وَعَضَّ عَنِ الْمَحَارِمِ
مِنْكَ طَرْفًا
فَخَائِبَةٌ الْعُيُونُ كَأَسَدٍ
غَابَ
وَمَنْ يَعْضُضُ فُضُولَ
الطَّرْفِ عَنْهَا
طُمُوحًا يَفْتِنُ
الرَّجُلَ اللَّيْبَا
إِذَا مَا أَهْمَلَتْ
وَتَبَّتْ وَتُوبَا
يَجِدُ فِي قَلْبِهِ رَوْحًا
وَطَيْبَا

وقال الشاعرُ المٌجيدُ :

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا
مِنِ النَّظْرِ كَمِ
نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ
صَاحِبِهَا
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ
يُقَلِّبُهَا يَسْرُ
نَاطِرُهُ مَا صَرَّ خَاطِرُهُ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ
مُسْتَضْعِرِ الشَّرِّ
فِنَّكَ السَّهَامِ بِلَا قَوْسٍ
وَلَا وَتَرٍ فِي أَعْيُنٍ
الْغَيْدِ مَوْقُوفٍ عَلَى
خَطَرٍ لَا مَرْحَبَا
بِسُرُورٍ عَادَ بِالصَّرِّ

قال أبو الحسنات : وكنْتُ قد كتبتُ أبياتاً على لسان شابٍّ ترك
النَّظْرَ إلى النِّسَاءِ، فذاق حلاوة الطاعة، وانجلت عنه همومه التي
ورثها النَّظْرُ، ثُمَّ لا زالت نفسه تُعائده وهو يُجاهدها، فقال:

يَا رَبِّ صَبِّرْني فَإِنِّي تَائِبٌ
مِنَ فَعْلِ ذَاكَ الْفَاسِقِ
الْمُتَمَرِّدِ

أَنعمَ عَلَيَّ بِرَاحَةٍ وَسَكِينَةٍ
لا خَيْرَ في عيشِ

أَتَرى هُمُومِي قد
تُعَاوَدُني وَقَدُ
مِنَ يَوْمِ أَن فَارَقْتُ ذَاكَ
الْفَعْلَ فِي
يَا أَيُّهَا الذَّنْبُ القَبِيحُ أَلَا
ابْتَعَدُ
كُتِيبَ مَجْهِدٍ
دُقْتُ السَّعَادَةَ
بِالمَعِيشِ الأَرْعَدِ؟!
خَلَوَاتِ شُومٍ لا تُقَى
وتَعَبِدِ
لا قُرْبَ مِنِّي لا تُقَارِبِ
مَقْعَدِي

لا تَحْسَبَنَّ مَلِيحَ شَكْلِكَ
خَادِعٌ
وَالعَقْلُ يَأْبَى أَنْ يُبَدَّلَ
عَاقِلٌ
وَاللهُ عَلَّمَنَا بَانَ النَّصْرِ مَعَ
لي قَدْ عَرَفْتُكَ: أَنْتَ
ثَعْلَبٌ مُعْتَدِي
أَلْمَا وَأَهَاتٍ بَعِيثٍ
أَسْعِدِ
صَبْرٍ وَجَهْدٍ، فَافْهَمَنْ يَا
مُهَنْدِي

ولابن القيم قَصِيدَةٌ رَائِعَةٌ ذَكَرَهَا فِي «بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ» وَفِي
«الْفَوَائِدِ»، وَهِيَ أَنَا أَذْكَرُهَا هُنَا بِطَوْلِيهَا:

يَا رَامِيًا بِسِيْهَامِ اللَّحْطِ
مُجْتَهِدًا وَبَاعِثُ
الطَّرْفِ تَرْتَادُ الشِّفَاءَ
لَهُ تَرْجُو الشِّفَاءَ
بِأَخْدَاقِ بِهَا مَرَضُ
وَمُغْنِيًا نَفْسَهُ فِي إِثْرِ
أَفْبِحِهِمْ وَوَاهِبًا
عُمُرَهُ مِنْ مِثْلِ ذَا سَفَهَا
وَبَائِعًا طَيْبِ عَيْشٍ مَا لَهُ
خَطْرٌ عَيْتُ وَاللهِ
عَبْتًا فَاجِشًا قَلُوْا اسُدُّ
وَوَارِدًا صَفْوِ عَيْشِ كُلِّهِ
كَدْرٌ وَحَاطَبَ اللَّيْلِ
فِي الظُّلْمَاءِ مُنْتَصِبًا
شَابَ الصُّبَا وَالتَّصَابِي
لَمْ يَشِبْ وَشَمْسُ
عُمُرِكَ قَدْ حَانَ العُرُوبُ
لَهَا وَقَارَ بِالْوَصْلِ مَنْ
قَدْ قَارَ وَأَنْقَشَتْ
كَمْ ذَا التَّخَلْفُ وَالدُّنْيَا
أَنْتَ القَيْتِيلُ بِمَا تَرْمِي
فَلَا تُصَبِّ
تَوْقَهُ إِنَّهُ يَرْتَدُّ بِالْعَطَبِ
فَهَلْ سَمِعْتَ بِبُرِّ جَاءِ
مِنْ عَطَبٍ؟!
وَصُفَا لِلْمَلِخِ جَمَالٍ فِيهِ
مُكْتَسَبِ لَوْ
كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْرَ العُمُرِ
لَمْ تَهَبِ بِطَيْفِ عَيْشٍ
مِنْ الأَيَّامِ مُنْتَهَبِ
تَرْجَعْتَ ذَا العِقْدِ لَمْ
تُعَبْنِ وَلَمْ تَحِبْ
أَمَامَكَ الوَرْدُ صَفْوًا
لَيْسَ بِالكَذِبِ
لِكُلِّ دَاهِيَةٍ تَدْنُو مِنْ
العَطَبِ وَصَاعِ
وَقَيْتِكَ بَيْنَ اللُّهُوِّ وَاللَّعِبِ
وَالطِّيِّ فِي الأَفْقِ
الشَّرْقِيِّ لَمْ يَغِبِ

قَدْ ارْتَحَلْتُ
 مَا فِي الدِّيَارِ وَقَدْ
 سَارَتْ رَكَائِبٌ مِنْ
 فَاغْرَشُ الخَدِّ ذِيَاكَ
 التُّرَابُ وَقُلُّ
 رُبْعُ (مَيْة) مَحْفُوفًا
 يَطُوفُ بِهِ وَلَا
 الخُدُودَ وَإِنْ أَدْمِينَ مِنْ
 صَرَجٍ مَنَازِلًا كَانَ
 يَهْوَاهَا وَيَأْلَفُهَا
 فَكَلَّمَا جَلَيْتُ تَلَكَّ
 الرُّبُوعُ لَهُ أَحْيَا
 لَهُ الشَّوْقُ تَذْكَارَ
 العُهُودِ بِهَا هَذَا
 وَكَمْ مَنَزِلٍ فِي الأَرْضِ
 يَأْلَفُهُ مَا فِي
 الخِيَامِ أَوْ وَجِدٍ يُرِيحُكَ
 إِنْ وَايَسِرَ فِي
 عَمَرَاتِ اللَّيْلِ مُهْتَدِيًا
 وَعَادَ كُلَّ أَخِي جُبْنٍ وَ
 مَعَجَزَةٍ وَخُدَّ
 لِنَفْسِكَ نُورًا تَسْتَضِيءُ
 بِهِ
 فَالْجِسْرُ ذُو ظُلُمَاتٍ
 لَيْسَ يَقَطَعُهُ

عَنُ أَفْقِهِ ظُلُمَاتُ اللَّيْلِ
 وَالسُّحُبِ
 وَرُسُلُ رَبِّكَ قَدْ وَافَقَكَ
 فِي الطَّلَبِ
 تَهَوَّاهُ لِلصَّبِّ مِنْ
 سُكْنِي وَلَا أَرِبِ
 مَا قَالَهُ صَاحِبُ
 الأَشْوَاقِ فِي الحَقَبِ
 (عَيْلَانُ) أَشْهَى لَهُ مِنْ
 رَبْعِكَ الخَرْبِ أَشْهَى
 إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدِّكَ
 التُّرْبِ أَيَّامَ كَانَ
 مَنَالُ الوَصْلِ عَنُ كَتَبِ
 هَوَى إِلَيْهَا هَوَى المَاءِ
 فِي صَبِ
 فَلَوْ دَعَا القَلْبُ
 لِلسَّلْوَانِ لَمْ يُجِبِ
 وَمَا لَهُ فِي سِوَاهَا
 الدَّهْرَ مِنْ رَعَبِ
 بَشْتَهُ بَعْضِ شَأْنِ الحُبِّ
 فَاعْتَرِبِ
 يَنْفَحَةُ الطَّيْبِ لَا بِالنَّارِ
 وَالحَطْبِ وَحَارِبِ
 النَفْسِ لَا تَلْقِيكَ فِي
 الحَرْبِ
 يَوْمَ اقْتِسَامِ الوَرَى
 الأَنْوَارِ بِالرُّتَبِ

إِلَّا بِنُورٍ يُنْجِي العَبْدَ فِي

الْكُرْبِ

خَاتِمَةٌ فِيهَا ذِكْرُ كَلِمَاتٍ مُخْتَصَرَاتٍ فِي عَضِّ البَصْرِ
التَّنْظَرَةُ تَزْرَعُ فِي القَلْبِ الشَّهْوَةَ .
لَا يَزْنِي فَرْجُكَ وَقَدْ عَضَّصْتَ بَصْرَكَ .
العَيْنُ أُنْمٌ مِنَ اللِّسَانِ .
أَوَّلُ العَشْقِ النَّظْرُ، وَأَوَّلُ الحَرِيقِ الشَّرُّ .
مَنْ طَاوَعَ طَرْفَهُ تَابَعَ حَتْفَهُ .
مَنْ أَطْلَقَ طَرْفَهُ، كَثُرَ أَسْفُهُ .
التَّنْظَرُ سَهْمٌ سُمُّ إِلَى القَلْبِ .
الصَّبْرُ عَلَى عَضِّ الطَّرْفِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلْمٍ بَعْدَهُ .
حَبْسُ اللِّحْظَاتِ أَيْسَرُ مِنْ دَوَامِ الحَسَرَاتِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّهُ هَدَانَا اللَّهُ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .
وَكَانَ القَرَاعُ لَيْلَةَ الإِثْنِينَ 19/صَفَرِ 1427 هـ .
وَكَتَبَ : أَبُو الحَسَنَاتِ الدِّمَشْقِيُّ .